داريو فو...

من الهندسة المعمارية إلى فن المسرح

أدب لا يعتمد على تاليف الكتب بل على توصيل الكلمة عبر التواصل مع المتلقي من خلال أبي الفنون و هو المسرح، و أحد أعمدته داريو فو، ذلك المُتمرِّد البسيط الفنان الجامع بين الإنتاج المسرحي و التمثيل و الإخراج، ترك إرثا ثقافيًّا كبيرًا، فهو الذي جعل المورد الشعبي خطابًا سياسيًّا ضد السُلطة و اجتماعًا للتعبير عن هموم الطبقة المُضطهدة من عُمَّال و فلاحين و حرفيين، و هو الذي وُلِد في ٢٤ من ادار عام ١٩٢٦ في منطقة لومبارديا المناهضة للفاشية لعائلة من الطبقة

العمالية، جاب كل المناطق الإيطالية بحُكم وظيفة والده، ترعرع في أوساط مسارح الشوارع و الحكواتي مِمَّا أكسبه خبرة كبيرة، و تعلم أغاني القرويين المُسلية خلال الحرب العالمية الثانية .

درس الهندسة المعمارية ثم توقّف عن الدراسة و اتّجه إلى العمل المسرحي، في خمسينات القرن الماضي بدأ بكتابة مونولوجات و مسرحيات قصيرة فيها نقد للأوضاع الاجتماعية و تلتها مسرحيات ارتجالية حول أحداث سياسية وليدة عصره مثل حرب فيتنام و اغتيال الرئيس الامريكي جون كينيدي و المافيا و الفساد .

نسج ثقافة مضادة لهيمنة السُلطة و الطبقة البرجوازية و اليمين الفاشي و الحركات اليسارية و ظلم الفاتيكان و لم تمنعه السجون و لا الرقابة من مواصلة عروضه المسرحية في الساحات العامة و المصطبات المفتوحة مع رفيقة دربه زوجته الممثلة «فرانكا راما»، كان صوتًا انتقاديًّا فيه تنقيب عن المساواة و العدالة الاجتماعية و نبذ كل اشكال الهيمنة و الظلم .

سيادته في المسرح تعود إلى مسرحية «ألغاز الكوميديا» الصادرة عام ١٩٦٩ و قد حقق نجاحا باهرًا في عروضها و جلبت له الشهرة العالمية في أوروبا و أمريكا .

و تُوِّج بجائزة نوبل للاداب عام١٩٩٧ و نوَّهَتْ لجنة نوبل به لإحيائه المورد الشعبي الذي اشتهر في القرون الوسطى في إيطاليا و هو المسرح الجيولاري الحكواتي الذي يعتمد على السخرية و الارتجال و التعبير بالجسد و لغة شعبية بعيدة عن لغة النُخبة لغة خشنة خليط من اللاتينية و اللهجات المحلية بطلها بهلواني يُعلّم الثورة من خلال السخرية و الضحك و الغناء و الرقص .

و عند تسلمه للجائزة عبَّرداريو فو بقوله: « إنَّ مُهمَّتنا كمُثقفين نصعد المنابر و المسارح و نتحدث للجمهور و لا سيَّما الشباب منهم و لا نقتصر أن نُعلمهم طرق التعبير و تقنيات التمثيل مهمتنا ان نجعلهم يدركون ما يدورحولهم ليكون بإمكانهم تقديم سردياتهم الخاصة فأيّ عمل مسرحي أو نص أدبي أو تعبير فني لا ينتمي لزمانه عمل لا طائل من تحته» .

كتب أكتر من اربعين مسرحية تناولت القضايا السياسية الساخنة و الموضوعات الاجتماعية الشاذة بصوت انتقادي لاذع و تحريض و توعية و يقول: « إنَّ مسرحنا عدواني و تهريجي في معالجة و تعرية المشاكل المباشرة التي تهم الفقراء».

كان ظاهرة مسرحية فريدة منحازًا للقضايا الإنسانية مناصرًا للقضية الفلسطينية و مُتفهِّمًا للقضية العربية و كتب مسرحيته «فدائيون» و جلبَ ممثلين عرب و فلسطنيين للقيام بأدوار الفدائيين باللغة العربية و نظرًا لأنَّه مُخرجٌ وجد تصرُّفا لتوصيل المعنى بالترجمة بواسطة مُمثلين إيطاليين أو وضع الترجمة في أعلى المنصَّة .

مسرحية «السيدة العجوز لا تصلح إلّا للرَمْي» تتكون من مجموعات اسكاتشية سريعة الإيقاع بأسلوب مَرِح، و مسرحية «اِسرِقْ أقل رجاءً» عُرِضتْ في كافة أوروبا باعتبارها من أهم الأعمال الأدبية، و تدور حول الظلم و الفساد في المجتمع و عُرِضَت في رام الله بفلسطين و لأوَّل مَرَّة باللغة العربية.تبدأ أحداث المسرحية في مقبرة حكومية حيث يُجسِّد

الممثلون أدوار عُمَّالٍ في المقبرة يعانون ظلم مدير المقبرة و مع المجتمع المحيط بهم بأسلوب تهكّمي كوميدي مع تبيان الفساد و تفشيه في المجتمعات و المجتمع الفلسطيني نتيجة الاحتلال الاسرائيلي للبلاد و ما يعانيه من ظلم و قهر و فقر و حصار من ممارسات الاحتلال الغاشم و هده المسرحية لداريو فو صالحة لكل زمان و مكان.

غيَّبه الموت في خريف الفين و ستة عشرة للميلاد و في الثالث عشر من تشرين الأوَّل ترك فراغًا كبيرًا ليس على الساحة المسرحية الإيطالية بل العالمية أيضًا.

داريوفو